

من عالم إلى عالم

رسالة من فيليب حتي إلى وليم نعمه

ادونيس نعمه *

5- نهر العاصي منبعه قرب بعلبك وله هناك عدة مصادر أهمها العين الزرقاء وعين اللبوة وكلها في أسفل لبنان من الجهة الشرقية، ومصبه عند قدم الجبل الإقرع (CASIUS) قرب السويدية.

6- مياه شالوف جزين من نبع جزين بأعلى القرية، وبعد أن تحتاز البلدة تصل إلى صخر منقطع عمودياً كالجدار فوق الوادي، فتتحد عن علو 70 متراً وتتحد على بُعد 3 أميال بعد ذاك بمياه الأولي التي تسمى في أعلى مسيرها نهر الباروك.

7- كان كسروان أهلاً بالدورن والمتاوله قبل أن ياهله الموارنة وذلك بتسرّبهم من الشمال وهو مركزهم الأولي.

8- كان في سواحل لبنان روم قبل أن يجيء الموارنة إلى لبنان من منشاهم الأصلي وهو شمالي سوريا وضاف العاصي.

9- نعم انشقاق الطائفة الكاثوليكية الملكية عن الكنيسة الأرثوذكسية كان في العصر الحديث، ولكن أبناء الطائفة الكاثوليكية هذه يقولون إنهم مع الروم كانوا أصلاً كاثوليك وانهم «لم ينشقوا» بل عادوا فاتصلوا بالكنيسة الأصلية.

10- لا أظن أن عدد المهاجرين اللبنانيين منذ مائة عام لليوم بلغ المليونين أو شيئاً من ذلك ولو أحصينا سلالتهم في بلاد الهجرة. فإبناء لبنان كلهم لا يعدون المليون فكيف يستطيعون أن يرسلوا إلى الخارج عدداً يزيد عددهم؟ ليس ثمة من إحصاءات ولكني لا أعتقد ان المهاجرين اليوم من لبنان في سائر أنحاء المعمورة مع الجبل الأول من مواليدهم يقرب ثلاثة أرباع المليون على الأكثر. فإن شعبنا عن غير قصد يبالغ بالأعداد ولا يستطيع أن يقدر عدداً كبيراً بما يقرب من الدقة وذلك لأنه يبدأ يعالج أعداداً صغيرة محدودة فمتى زاد العدد «برم رأسه». أسمع وأقرأ ان المهاجرين المتكلمين بالعربية في العالم الجديد نصف مليون وهم بالأكثر مع مواليدهم على أضبط تقدير تجده في كتابي "Syrians in America" ربع مليون. حتى الجرائد هنا تقول ان عدد المجندين منهم في هذه الحرب (المقصود الحرب العالمية الثانية) كان 50 ألفاً!!! وعلى أضبط تقدير لا يزيد عن 15 ألفاً... إلخ.

أما بعد، اني عازم على السفر بعد بضعة أسابيع بدعوة من حكومة لبنان، وبدعوة من النظارة الأميركية، لزيارة بلدان الشرق الأدنى وسأعود ان شاء الله في آخر الصيف، فعسى أن نجتمع هناك ان كنت قد قرّرت السفر.

أظن أنه بمخابرتك أولى الشأن في جامعة المكسيك حسبت أنني على استعداد لقبول الدعوة ان كانت ممكنة هذا الصيف. والذي أذكره أنني صرّحت لك أنني لست أرمي من سؤالي إلى شيء من ذلك، إنما أردت أن أدرس ماذا وراء ما ذكرته بشأن كرم. وعلى ذكره أقول إنني خابرتك لما كان هنا بشأن إقامة صلة بين أصحابنا في المكسيك لدعم مشاريع الجامعة الأميركية، وهو أظهر حماساً ووعد خيراً وأكد إرسال أسماء وقوائم كيما تصير مخابرتهم.

ولأذن لم يتم شيء من ذلك. فإذا كان لديك متسع من الوقت وأردت بالاشتراك معه أن ترسل أسماء لبعض المتخرجين والأصدقاء لمكتب الجامعة Albert STAUB Near East Colleges وتذكر له انك ترسلها بناءً على طلبي.

أخوك فيليب عميد ركن متقاعد

يكثر الحديث اليوم عن تجنيس المغتربين اللبنانيين والمتحدرين من أصل لبناني، ويسارع السياسيون، على نمطهم المعروف، إلى استغلال المناسبة بإظهار غيرتهم على إعادة الجنسية اللبنانية إلى شطر لبنان المقيم خارج الحدود... حتى لا يفقد الوطن هذا الفريق العزيز من أبنائه بل يغتني بهم عدداً وإمكانات مادية وعملية، مضخمين أعدادهم إلى حد يتخطى الواقع بكثير، وهم، كما لا نجعل، مسيحيون في معظمهم، ما يخيف اللبنانيين الآخرين الذين يخيل إليهم، تجاه هذا التضخم العددي، أن هذا الأمر سوف يطيح بالتوازن الداخلي ويقلب المعادلة، في حين أن إعلاء الصوت في هذا الموضوع لا يهدف منه أصحاب التصريحات والتعليقات إلى أكثر من إحراز مكاسب شعبية في أوساطهم، ولكن بتقديرات بعيدة عن الدقة وعن المعقول.

إزاء هذا اللغو الكلامي رأينا أن نقدم لقراء «الأخبار» نص رسالة بعث بها المؤرخ اللبناني الكبير الدكتور فيليب حتي، أستاذ التاريخ الشرقي في حينه في جامعة برنستون، إحدى أكبر الجامعات في الولايات المتحدة الأميركية، إلى الدكتور وليم نعمه الذي كان إذ ذاك أستاذاً لعلم الأمراض الهضمية في كلية الطب في جامعة مكسيكو عاصمة المكسيك، وهو أيضاً مؤرخ وصاحب الكتاب الوحيد باللغة الإسبانية عن تاريخ لبنان، وكذلك شاعر باللغات العربية والإنكليزية والإسبانية وكاتب بهذه اللغات الثلاث، وموسيقي وملحن.

يسارع السياسيون إلى إظهار غيرتهم على إعادة الجنسية اللبنانية إلى المغتربين

هذه الرسالة مؤرخة في 20 آذار سنة 1946، وقد تطرق فيها الدكتور حتي إلى المغتربين اللبنانيين وعددهم، وذلك بما هو عليه من الدقة العلمية والجذبة والرصانة والموضوعية، وأين كل ذلك من التهريج الإعلامي الذي نسمعه الآن. وهذا نص هذه الرسالة:

20 آذار 1946
جامعة برنستون ولاية نيو جيرسي قسم اللغات والآداب الشرقية عزيزي الحكيم وليم،

عذراً عن تاخري بالجواب. كنت وعدت بإرسال كلمة عن المهاجرين للعالم الغربي، ثم جاءت الأسئلة فساكتفي بالجواب عليها مع اعترافي أولاً بأنني لم أعطٍ لآن تاريخ لبنان الحديث حقه من الاستقراء والتعقيب ثانياً أنه ليس لنا كتب يوثق بها.

1- لا شك أن الحاج كيوان كان مسيحياً، وكانوا يطلقون هذا اللقب على من زار القدس.

2- أعلى قمم لبنان صهر القضيب حسب التقارير السالفة، أما آخر قياس جعل القرنة السوداء أعلى قمة فهي 11024 قدماً.

3- رسالة لوييس التاسع لا أستطيع الحكم في أمرها لأنني أطلعت على نسخ منها ولم أطلع عليها.

4- نعم آل شهاب أصلاً كلهم مسلمون وهم ينتمون لسلالة قريش، إذا كان بعضهم اعتنق الدرزية فلا علم لي؟

وفران اتحادياً في مملكة واحدة، كان حكم الغدافي منذ 1 أيلول 1969 حتى سقوطه من مقره في باب العزيزية يوم 23 آب 2011 لاصقاً قوياً للكيان الليبي من خلال قوة الديكتاتور الفرد، وبعده انفرطت ليبيا إلى أجزاءها المكونة وأكثر، وكان الصدام الرئيسي بين برقة وطرابلس، ولو أنه يأخذ شكلاً إيديولوجياً سياسياً بين طرابلس الغرب المسيطر عليها من الإسلاميين وبين الشرق في منطقة برقة، حيث اللواء خليفة حفتر وبقايا الجيش الليبي، المدعوم من الليبراليين وبقايا النظام القديم ومن مصر. في عام 2015 دخل «داعش» وسيطر على سرت ومناطق عديدة من الوسط الليبي. أيضاً أخذ شكل الانقسام بين الغرب والشرق الليبيين شكل انقسام بين برلمانين وحكومتين وجيشين في طرابلس وطبرق.

في تجارب أخرى، لم يحصل فراغ في السلطة: في عراق ما بعد صدام حسين حصل اضطراب وتصادم بين المكونات الثلاثة الرئيسية للمجتمع العراقي. لم تغب السلطة المركزية أو تستقل أجزاء ولو أن تجربة «داعش» جذرية بالملاحظة من حيث تقديمها لـ «شرعية» منافسة لحكومة بغداد، فيما يعترف الإقليم الكردي بسلطة بغداد. في يوغسلافيا 1991 حصل انقسام للدولة إلى أجزائها الستة ثم أضيفت جمهورية كوسوفو عام 2008، ولم يحصل فراغ.

يلاحظ في حالات الفراغ الثلاث: دول هشة التركيب توجد بها حالة لا اندماج اجتماعي، وهي ليست دول قديمة التكوين، مثل مصر أو المغرب. تنازع مغول الهند والفرس والبريطانيون والروس للسيطرة على أرض أفغانستان الحالية. رغم توحيد أفغانستان في مملكة واحدة بالقرن الثامن عشر ظلت موضع تنازع ومدار لنفوذ الآخرين ولعصبها بالمكونات المحلية. في ليبيا والصومال قاد سقوط الديكتاتور إلى تفكك الأجزاء الجغرافية التي تم دمجها ببلد واحد يوم الاستقلال والذي كان هو أيضاً يوم التأسيس للدولة، بل للدقة كانت أجزاء التفكك أكثر من أجزاء الدمج وفاققتها عدداً.

* كاتب سوري

«طالبان» مدعوماً من روسيا وإيران والهند، وهو التحالف الذي استندت إليه أميركا في غزو 2001 لأفغانستان وفي تأسيس الحكم الجديد بكابل ولو بواجهة باشتونية مثلها حامد قرصاي الذي تم الاتيان به بالطائرة من أميركا. قادت «طالبان» المقاومة ضد الأميركيين، مدعومة من حزب حكمتيار ومن جماعة جلال الدين حقاني، ولم تستطع طوال عقد ونصف العقد من الزمن أن تتجاوز الإطار الباشتوني. في فترة سيطرة شاه مسعود (1992-1996) وطالبان (حتى 2001) وسيطرة السلطة المصنوعة من الأميركيين على كابل (2001-2015)، كان هناك فراغ في السلطة بأفغانستان، حيث كانت سيطرة مسعود لا تتجاوز العاصمة وبعض مناطق الشمال، وكان نطاق سلطة «طالبان» كابل والجنوب الباشتوني دون الشرق والشمال، فيما الأميركيون وقرصاي المدن دون الريف الذي كان بمعظمه وبخاصة في الجنوب والشمال الشرقي بأيدي طالبان وحكمتيار، فيما كانت سيطرة نجيب الله، وقبله بابر كارسال، وهما المدعومان من السوفييات، بين عامي 1979 و1989، أوسع من سلطة قرصاي جغرافياً في المدن والريف. ولم يفقد نجيب الله بعد اكتمال الانسحاب السوفيياتي في 15 شباط 1989 أي مدينة وظل الوضع هكذا حتى يوم 18 آذار 1992 عندما سقطت مدينة مزار شريف بالشمال بيد شاه مسعود لتتبعها كابل في 16 نيسان. كانت سلطة كابل ما بعد 16 نيسان 1992 هي على ما يشبه الحاكم في القومية، وتضعف على ما يختلف عنه قومياً - عرقياً (الهাজার تجمع الانتماء الطائفي والعرق في بوتقة واحدة) ريفاً ومدناً. كان فراغ السلطة الأفغانية متحداً بالتخوم القومية. العرقية، ولم يستطع أحد أن يملأه في فترة ما بعد الشيوعيين، وكان فراغ السلطة، في زمن الملك (حتى تموز 1973) وفي زمن محمد داود الذي أطاح به الشيوعيون بانقلاب 27 نيسان 1978، أقل من الشيوعيين ومن الذين أتوا بعدهم.

في ليبيا، التي أتى استقلال 1952 كنتيجة لعملية ضم ولايات ثلاث: طرابلس وبرقة

مع الاحتلال مُقدّساً، غير قادرة أو بالأحرى لا تريد لوحدها الدفاع عن القدس وعن المقدسات الإسلامية والمسيحية في القدس، فإن الأمر بات أكثر إلحاحاً من ذي قبل.

ولكي نكون على بينة من الأمور يجب التشديد على أن الأعداء مرفوضة جملة وتفصيلاً، فالقدس العربية هي منطقة محتلة، وبالتالي يسمح القانون الدولي للأثرياء العرب باستثمار الأموال فيها وإنقاذها من براثن الصهيونية، التي كشرت عن أنيابها وما زالت تصول وتجول في القدس المحتلة من دون حسيب أو رقيب وعندما قال بنيامين نتنياهو، رئيس وزراء دولة الاحتلال، إن جميع رؤساء الحكومات في إسرائيل منذ عدوان الخامس من حزيران عام 1967، قاموا بالبناء في القدس العربية، فلأسف الشديد نجد أنفسنا مكرهين على القول الفصل إن أقواله صحيحة مئة في المئة، أي أننا نحن العرب من المحيط إلى الخليج، نوأكب ونتأجب عملية سلب القدس من أيدينا من دون أن نحرك ساكناً؟ هل تقبلون يا عرب وهل توافقون يا مسلمون على أن تكون رأس حربة الإمبريالية العالمية، الولايات المتحدة الأميركية ورئيسها، باراك أوباما، في خط الدفاع الأول عن القدس، وتحاول أن تمنع الإسرائيليين من مواصلة انتهاك حرمت مساجدنا وكنائسنا؟ ألا تعتقدون أن هذا الأمر هو من رابع المستحبات؟ برّككم وبدينكم: هل تنقصنا الخامات أو الطاقات أو الثروات لكي منحه الآخرين فرصة مواصلة السيطرة على القرار العربي الرسمي والشعبي؟

إنه فعلاً من المشاهد السورالية أو العجيبة،



نص الرسالة بخط اليد

